الفصل الثاني:

الثورة والعسل المر

منذ قيام ثورة ٢٥ يناير وما تلاها من توابع ثورية تمثلت في جُمَعِ الغضب التي كانت وما زالت تحمل رسائل معينة توجهها الميادين الثائرة إلى مؤسسة الرئاسة، نيابة عن الشعب، وربما نيابة عن برلمانه الذي اكتفى أعضاؤه بالحصانة ومكافأة التمثيل النيابي، وتصادمات ومواقف متأزمة ومطالبات متعددة ومتنوعة ومتضادة في أحايين كثيرة، وأيًّا كانت طبيعة الفعل ورد الفعل فلم تسفر هذه التصادمات سوى عن أزمات يعانيها الشعب لا نعرف مصدرها، وبلطجية لم نتعرف على الإناء الذي أفرزهم ولا الكيانات التي لفظتهم، والفاعل في كل الأحوال مجهول؛ وفي كل الحالات نقر جميعًا بوجود يد خفية وراء تلك الأزمات، وفي كثير من الأحيان نرى الفاعلين الحقيقيين لكننا نغض الطرف عنهم خوفًا من اتهامنا أو وضعنا في قوائم سوداء أو تجنبًا لحملات من التشويه والعبث بشرف العرض والفكر في حالة الاختلاف مع من نصبوا أنفسهم حماة للثورة ووصايا على الشعب. ناهيك عن الاستسهال في تحديد فئة معينة لتحميلها كل اللوم ودواعي التآمر وتبعات الفشل وخلق الأزمات وفي الغالب تكن هذه الفئة هي الأضعف وغير القادرة على الظهور والدفاع عن نفسها؛ وربما تلعب تلك الأيدي وهذه المخاوف والأفكار بمسار الثورة وتراهن على إخفاق إنجازاتها، فمن الخيبة أن نركن إلى فكرة الفلول وحدها وتحميلهم ما لا يحملون. والاعتقاد بأنهم ما زالوا يحكمون عقول

العامة وتصرفاتهم.. ونحن نعلم جميعًا بأن جحافل الفلول في مساجنهم وما تبقى منهم ممن اقتنعوا بعقلية النظام البائد قد لزم جحره..

فإذا كان المتورطون فلولًا، فلماذا لم يكشفهم الرئيس ويحبط نواياهم، وما مصلحته في إخفاء مخططاتهم ومن الذي وضع مصائر الشعب في أيديهم؟ ولماذا اكتفى بالتنويه عنهم عبر خطبه البالية؟ وإذا كانوا بلطجية فلماذا لم تقم الداخلية برصدهم وتخليص المجتمع من شرورهم؟ وإذا كانوا عملاء ومندسين وخونة، فأين الأمن الوطني والقومي والعام؟ وهل هي تشكيلات عصابية متآمرة كما يدعي البعض؟ أم تشكيلات أمنية تتقاضى رواتبها من جيوب الشعب وعليها التزام وطني يجب احترامه؟ أم ما زالوا نائمون في عسل الثورة الذي لم ينته بعد؟.. فإذا كان الأمر هكذا، فمن السائل ومن المسئول إذن؟ وكيف صارت مصر مرتعًا للمندسين والمحتكرين والعملاء والخونة والمتاجرين بالأديان؟ فهل جاءت الثورة لتذكرنا بحصان طروادة الذي عقد عليه الأمل في الأساطير لتخليص البلدة من الأشرار؛ فجاءهم محملًا بما هو أشر، يحمل بداخله كل دواعي الخراب والهلاك؟ أم جاءت الثورة لتسقط أقنعتنا وتكشف النقاب عن الوجه القبيح للوعي المصري وأخلاق الشعب التي تلوثت بأنانية أفراده المفرطة؟ وهل أخفت الثورة في أثيابها كل عملاء المصلحة المنتهزين والمرتقبين للحظات ضعف الوطن؛ الذين تخفوا في أصوات الثوار وتعلقوا بذيول الميادين حتى صاروا أذنابًا تضرب في قلب الثورة وتراهن على أوجاع الوطن المنكوب حاملين شعارات وهمية "جئنا من السماء نحمل الخير للوطن"؟ وهل قام الشعب بثورته للخلاص من أزماته القديمة التي خلفتها تراكمات فساد عصر مبارك حتى صارت إرثًا لنا، أم لفتح كشوف حسابات جديدة يدفعها فقط بسطاء هذا الشعب وفقراءه من راحتهم اليومية وتارة من قوت أبنائهم وأمنهم؟

وهل حدد الشعب عن وعي طبيعة وشكل دولته القادمة، أم كله سمك لبن تمر هندي، والعشوائية هي الإطار العام في تحركات الشعب نحو مستقبله.. ماذا غَيَّرت الثورة فينا؟ فهل جاءت مُغيرة لطبائع وضمائر كانت قد تبلدت في عصر كسا فيه الفساد أروقة الأخلاق لدى الساسة والشعب، أم جاءت فاضحة كاشفة لواقع أليم يشير إلى عدم صلاحية المعون الذي أفرز الساسة وهو الشعب، وأن المشكلة ليست في السياسة ولكن في المعون الذي يحويها، والمتمثل في ثقافة الناس وطرائق حياتهم وتنشئتهم على مبادئ لا تخدم الانتماء، وعمومًا فإن الإجابة على هذه التساؤلات لا تنفصل بحال عن ثقافة الشعب وضمير الرئيس .. فعلى الشعب يقع العبء الأكبر من الإصلاح؛ فهو الذي قام بالثورة والوحيد الذي يتحمل تبعات فشلها.. فإذا نجح في ثورته على ذاته، واستشعر مرارة العسل الذي تجرعه في الميادين.. عندها نقول: نجحت ثورة ٢٥ يناير.

□ □ □ □